141077 ـ ما المقصود بالفتن التي القاعد فيها خير من القائم ؟

السؤال

دعونا نعرف ما المقصود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما أخذ من النبي صلي الله عليه وسلم حديثا يتعلق بفتن كثيرة سوف نراها ، وأن الجالس خير من الواقف ، والواقف خير من الماشي ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الحديث المقصود هو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ) رواه البخاري (3601) ومسلم (2886)

وقد روي نحو هذا الحديث عن جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم .

قال الإمام الترمذي رحمه الله – بعد أن روى نحو هذا الحديث من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ :

" وفي الباب عن أبي هريرة ، وخباب بن الأرت ، وأبي بكرة ، وابن مسعود ، وأبي واقد ، وأبي موسى ، وخرشة " انتهى.

ومن أحب أن يطلع على نصوص هذه الأحاديث فليرجع إلى كتاب " إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة " للشيخ حمود التويجري رحمه الله ، في باب " ذكر الفتن والتحذير منها والأمر باعتزالها وكف اللسان واليد فيها " (1/26-51)

ثانيا :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ، في شرح معاني الحديث :

" قوله : (من تَشَرَّفَ لها) أي : تطلَّع لها ، بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها ...

قوله : (تستشرفه) أي : تهلكه ، بأن يشرف منها على الهلاك ، يقال استشرفت الشيء علوته وأشرفت عليه ، يريد من انتصب

لها انتصبت له ، ومن أعرض عنها أعرضت عنه . وحاصله : أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها .

ويحتمل أن يكون المراد : من خاطر فيها بنفسه أهلكته ، ونحوه قول القائل : من غالبها غلبته.

قوله : (فمن وجد فيها ملجأ) أي يلتجئ إليه من شرها .

قوله : (أو مَعاذا) هو بمعنى الملجأ .

قوله : (فليعذ به) أي : ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة .

ووقع تفسيره عند مسلم في حديث أبي بكرة ، ولفظه : (فإذا نَزَلَت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ـ وذكر الغنم والأرض ـ قال رجل : يا رسول الله ! أرأيت من لم يكن له ؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع) " انتهى.

" فتح الباري " (13/30) ، وينظر " شرح مسلم " للنووي (18/9) .

ثالثا :

المراد بهذه الفتن ما يكون بين المسلمين من القتال بالبغي والعدوان ، أو التنازع على أمور الدنيا ، دون أن يتبين أي الفريقين هو المحق ، أو أيهما هو المبطل .

قال الإمام النووي رحمه الله :

"وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (القاعد فيها خير من القائم) إلى آخره ، فمعناه بيان عظيم خطرها ، والحث على تجنبها ، والهرب منها ، وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها" . انتهى.

" شرح مسلم " (18/9-10) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قوله : (والقاعد فيها خير من القائم) حكى ابن التين عن الداودي أن الظاهر أن المراد من يكون مباشرا لها في الأحوال كلها ، يعني أن بعضهم في ذلك أشد من بعض ، فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سببا لإثارتها ، ثم من يكون قائما بأسبابها وهو الماشي ، ثم من يكون مباشرا لها وهو القائم ، ثم من يكون مع النظَّارة [يعني : المتفرجين] ولا يقاتل وهو القاعد ، ثم من يكون مجتنبا لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان ، ثم من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راض وهو النائم .

والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرا ممن فوقه على التفصيل المذكور .

وفيه التحذير من الفتنة ، والحث على اجتناب الدخول فيها ، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها . " . انتهى باختصار.

" فتح الباري " (13/30–31) .

والله أعلم .